بخطى ثابتة.. ترامب يخسر الشرق الأوسط

بيزنس إنسايدر – التقرير

وراء التهديدات، الكلام المنمق، والمناخ الكوميدي، هل عادت إدارة ترامب إلى الاستراتيجية الكبرى الناجحة في الشرق الأوسط التي اتبعها كل من الرؤساء الديمقراطيين والجمهوريين خلال الحرب الباردة؟ يعتقد ليون هدار ذلك، ويؤمن أن هذا النهج أكثر منطقية من جهود جورج بوش في "التحول الإقليمي" العسكري وبناء الأمة، واحتضان باراك أوباما للربيع العربي.

يقول هدار، في مقال أمريكان سبكتاتور، إن ترامب قرر أن "يتعامل مع الشرق الأوسط كما هو"، ويربط الولايات المتحدة بحزم مع الدكتاتوريين والمستبدين، كما حدث في ذروة الحرب الباردة. هذا النهج، كما يقول، كان "استراتيجية عملت بشكل جيد"، من خلال الحفاظ في وقت واحد على وصول الغرب إلى إمدادات الطاقة في الشرق الأوسط واحتواء التوسع السوفياتي.

يشير اليوم إلى أن الدعم الأمريكي القوي لشركائها السنة (وإسرائيل) سيعيد "إقامة وضع مستقر"، واحتواء التطرف الإسلامي. كما يثني على رفض ترامب لعملية السلام "المؤمنة" التي تنطوي على التسلط على إسرائيل، ويعتقد أن العرب المعتدلين يستطيعون إقناع الفلسطينيين "باتباع الطريق نحو التعايش" مع إسرائيل و"يؤدي في النهاية إلى اتفاق سلام"، و"إعادة الولايات المتحدة إلى استراتيجيتها الكبرى القديمة". باختصار، سينجح ترامب فيما فشل فيه جميع أسلافه.

أحب أن أصدقه، ولكن أسباب الشك تبقى قائمة. ليس هناك شك في أن سياسات بوش وأوباما في الشرق الأوسط كانت فشلًا مكلفًا، وسِجل بيل كلينتون في المنطقة لا يكاد يُفخر به. لكن تبني هدار لنهج ترامب يسيء

فهم الاستراتيجية الأمريكية الكبرى في الماضي، ويخطئ قراءة الوضع الذي تواجهه الولايات المتحدة اليوم، ويغالي كثيرًا في فرص النجاح.

خلال الحرب الباردة، دعمت الولايات المتحدة عددًا من دول الشرق الأوسط، كجزء من استراتيجية أوسع للاحتواء. لماذا؟ لأن الولايات المتحدة تريد منع الاتحاد السوفيتي من الحصول على النفوذ أو السيطرة على إمدادات الطاقة التي تعتمد عليها الاقتصادات الصناعية في الغرب. احتوت النفوذ السوفياتي على التحالف ضد العملاء السوفياتية مثل سوريا والعراق ومصر، ودعمت إسرائيل وشاه إيران والمملكة العربية السعودية المحافظة، وأخيرًا مصر بعد أن تخلت عن موسكو وأعادت تنظيمها في السبعينيات.

عندما سقط الشاه عام 1979، أنشأت الولايات المتحدة قوة الانتشار السريع؛ من أجل ردع انتزاع السوفياتي للخليج العربي. لكن واشنطن ما زالت تعمل في المقام الأول على أنها "موازنة في الخارج"، وأبقت قوات الدفاع عن الديمقراطية خارج المنطقة حتى أصبحت هناك حاجة إليها. لعبت الولايات المتحدة لعبة توازن القوى داخل المنطقة، حيث تميل نحو العراق خلال الحرب الإيرانية العراقية، ثم أرسلت قوات الدفاع عن الديمقراطية للإطاحة بالعراق من الكويت عام 1991.

ليس هناك هيمنة محتملة في الشرق الأوسط اليوم، حتى الآن لا يوجد "منافس نظير" خارجي مثل الاتحاد السوفياتي السابق الذي قد يسيطر على المنطقة. بالتالي، لا حاجة للولايات المتحدة أن تضاعف من التزاماتها الحالية تجاه أي بلدان في الشرق الأوسط.

لا يستحق أي من الشركاء الحاليين لأمريكا الدعم غير المشروط على أساس استراتيجي أو أخلاقي: 1) مصر دكتاتورية عسكرية وحشية ذات اقتصاد فاشل وقيمة استراتيجية متواضعة. 2) المملكة العربية السعودية ثيوقراطية أصولية، وتساعد على تدمير اليمن وسوريا، وتشارك في مشروع إصلاح اقتصادي ضخم. 3) تسير إسرائيل نحو اليمين نحو الفصل العنصري الكامل. 4) تركيا تسخر من الديمقراطية التي جنت "المشاكل للجيران".

في بيئة كهذه، ستحمي قوة عظمى ذكية، بدًلا من محاولة خلق نوع من المحور السني، يجب على الولايات المتحدة العودة إلى المنطق الكامن وراء نهجها السابق. الاهتمام الأمريكي الأساسي في الشرق الأوسط، كما هو الحال في المجالات الحيوية الأخرى، هو الحفاظ على توازن تقريبي للسلطة، ومنع أي دولة واحدة (أو قوة كبيرة خارجية) من الهيمنة.

الشرق الأوسط مقسم اليوم كما لم يكن في أي وقت مضى، مما يعني أن الهدف الأمريكي الأساسي من السهل تحقيقه. بناء على ذلك، يجب على الولايات المتحدة أن تصل إلى دول مثل إيران، بدًلا من تل أبيب والقاهرة والرياض وأنقرة. كما كتب إميل نخلة، مدير برنامج التحليل السياسي للإسلام السياسي التابع لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، مؤخرًا: "الانغماس في الخلاف الطائفي الدائم بين الإسلام السني والشيعي أو بين السعودية وإيران هو في المدى البعيد غير متناسب مع الأمن القومي الأمريكي، المصالح في العالم الإسلامي".

من شأن اتباع نهج أكثر توازنًا في المنطقة أن يشجع جميع الدول في المنطقة على بذل المزيد من الجهود لكسب أمريكا. إذا فهم السعوديون والإسرائيليون والمصريون والأتراك أن الولايات المتحدة كانت تتحدث بانتظام مع إيران، وأن العلاقات الوثيقة مع طهران كانت خيارًا حقيقيًا، فسيتعين عليهم التفكير بجدية حول ما يمكنهم القيام به للبقاء في نعمنا الطيب. (نفس المنطق يمكن أن يعمل في الاتجاه المعاكس بالطبع، فعلاقاتنا مع هذه الدول تعطي إيران سببًا للتقرب منا أيضًا، وخاصة إذا كانت قيادتهم مقتنعة أننا قد نستجيب في الواقع بشكل إيجابي لهم).

لأن الولايات المتحدة تهتم حقًا بالحفاظ على توازن القوى في المنطقة، لدينا ترف اللعب بهذه الدول قبالة بعضها البعض. هكذا ينبغي أن نفعل. غني عن القول إن هذا سيطلب من ترامب (والكونجرس) أن يتجاهلوا التخلي عن الدعاية التي تنبثق عن جماعات الضغط الإسرائيلية والسعودية، الذين كانوا يعملون على تشويه صورة إيران وإقناع ترامب بمنح حلفائنا التقليديين (غير المفيدين) ما يريدون.

علاوة على ذلك، ففكرة أن السعودية وغيرها من العرب المعتدلين يمكنهم إقناع الفلسطينيين بالتخلي عن تطلعاتهم الوطنية وتحقيق السلام مع إسرائيل هي واحدة من تلك الأوهام الدائمة التي عرقلت دبلوماسية الولايات المتحدة لعقود. كما يوضح ناثان ثرال في كتابه الجديد "اللغة الوحيدة التي يفهمونها: فرض التسوية في إسرائيل وفلسطين"، فالعقبة الرئيسية أمام السلام ليست التعنت الفلسطيني، ولكن عدم اكتراث إسرائيل، خاصة مع عدم وجود أي حافز حقيقي لإسرائيل لإحلال السلام طالما استمر العم سام في تقديم الدعم والحماية. الفكرة القائلة إن ما هو مطلوب هو مرونة فلسطينية أكبر خدعة، فبعد قرن من الهزائم والتجاوزات وخيانة الوعود (وكذلك بعض أخطائهم)، فالفلسطينيون لا يكادون يتركون أي تنازلات لإعطائها.

لا أعتقد أن ترامب يهتم بطريقة أو بأخرى بالإسرائيليين أو الفلسطينيين (لو فعل، لماذا سيعهد بعملية السلام إلى غير المؤهلين؟)، لكن الراحة أفضل، ولن تحقق المملكة العربية السعودية ومصر اختراقًا. أصبحت حماقة نهج ترامب واضحة يوم الاثنين، عندما قطعت السعودية وخمس دول سنية أخرى العلاقات مع (السنة) في قطر؛ بسبب مجموعة من الخلافات السياسية التي طال أمدها. استمرت احتفالات ترامب العميقة بالرياض، التي لم تتسبب في الخلاف السعودي – القطري، ببعض التغريدات غير المُصححة، لكن هذا النزاع كشف الهشاشة المتأصلة في "الناتو العربي" الذي يبدو أن ترامب تصوره.

علاوة على ذلك، فالانغماس في الخلاف السعودي القطري يمكن أن يعرض إمكانية وصول الولايات المتحدة إلى القاعدة الجوية الحيوية هناك للخطر. قد لا يكون بإمكان ترامب حتى أن يعرف متى استولى على هاتفه الذكي. بالنظر إلى أن وزارة خارجية ترامب تعاني من نقص شديد في الموظفين، وبقية إدارته تنفق المزيد من الوقت في بدء الحرائق، فالولايات المتحدة ليست في وضع يسمح لها بمحاولة إصلاح الصدع.

أخيرًا وليس آخرًا، رد ترامب على الهجوم الإرهابي الأخير في طهران كان غير حساس ومضلل استراتيجيًا. رغم أن وزارة الخارجية قدمت بيانًا حقيقيًا وصادقًا عن الأسف، إلا أن استجابة البيت الأبيض

(المتأخرة) لم تقدم إلا تعاطفًا معقدًا، واختتمت بإيجاز: "نؤكد على أن الدول التي ترعى الإرهاب معرضة للوقوع ضحية للشر الذي تروج له". من "إلقاء اللوم على الضحية" سيكون من الصعب العثور عليها، والأهم من ذلك استعداد ترامب لاحتضان الأنظمة التي غذت سياساتها الكثير من الإرهاب في الماضي.

على النقيض من ذلك، أجاب الرئيس الإيراني محمد خاتمي بعد 11 سبتمبر: "أقدم تعازيّ وأعمق أسفي للشعب الأمريكي"، ووصف الهجوم بالـ " كارثة" و"أبشع أشكال الإرهاب". كان واضحًا في تصريحات خاتمي أن الهجمات كانت بوضوح رد فعل (مهما كان قاسيًا وغير مبرر) على الأعمال الأمريكية السابقة. من الصعب أن نتصور أي رؤساء أميركيين جدد يستجيبون بكلمة كما فعل ترامب.

هناك طريقة واحدة يتفق فيها نهج ترامب مع أسلافه. مع ذلك. ورغم بعض العناصر المشتركة، وجد كل من كلينتون وبوش وأوباما طرقهم الفريدة للربط بين الشرق الأوسط. فعل كلينتون ذلك باحتواء مزدوج و "عملية سلام" متشابكة، وبوش من خلال غزو العراق، وأوباما من خلال احتضان الربيع العربي والطائرات بدون طيار والقوات الخاصة. لكن ترامب كان مساويًا للمهمة، فلديه نهجه الخاص لجعل الشرق الأوسط أسوأ. لماذا يجب أن تكون هذه المنطقة المضطربة مختلفة عن بقية العالم؟